باسم الشعب!

حسين محمد عجيل

أمضى صدام أكثر من ربع قرن وهو يتحدث زوراً باسم الشعب العراقي، ويصدر قراراته التي يذبح بها الشعب باسم الشعب. في المقابل كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس صراعها مع نظامه المتعفن، وسعت على نحو محموم إلى فرض حصار أكل الأخضر واليابس من مقدرات البلاد، ولم يستفد منه سوى رأس النظام الذي عززه بحصار داخلي أشد لؤماً. وبرر الأمريكيون هذا كله بأنه سيصب في نهاية المطاف في خدمة شعب العراق! وبين هذين النقيضين اللدودين المتنافسين في (حب) الشعب العراقي، ثمة كثير من الجهات التي تتحدث باسم الشعب أو نيابة عنه أو سعياً لخدمة مصالحه.

وبعد أن انقرض صدام ونظامه إلى الأبد واحتل الأمريكيون العراق، زادت الأطراف التي تتحدث باسم الشعب: فمجلس الحكم، وطيف واسع من الأحزاب والحركات السياسية، ورجال الدين، وشخصيات سياسية متباينة الاتجاهات والتفكير، وسلطة الاحتلال أيضاً، وعشرات من العراقيين الذي يظهرون على القنوات الفضائية متباكين على الشعب وكثير منهم طالما زمر وطبل لصدام، بل أن ثمة أناساً يتحدثون باسم الشعب العراقي ولا يكاد يعرفهم من أبناء الشعب سوى بضعة عشر فرداً لا غير! والأدهى من ذلك أن هناك من يتجرأ على (الحديث) باسم الشعب وهو لا يجيد التحدث بإحدى لهجاته، فتراه يرطن بلهجة غريبة عن المزاج العراقي، تشوبها لكنة غربية أو شرقية تزيده بعداً عن القلوب.

الدول العربية وغير العربية، المجاورة للعراق والبعيدة عنه، لا يفوتها أيضاً أن تتبنى خطاباً سياسياً تشم منه رائحة الوصاية على مصلحة ما للشعب العراقي، وبعضها ولغ في دماء العراقيين وخيراتهم لمدد متفاوتة.. وينتظر سنوح فرصة للمزيد. والأمم المتحدة التي تركت العراق لمصيره وهو أحوج ما يكون إلى وجودها الفيزياوي الفعال، لا تكف عن (الكلام) على مصلحة الشعب العراقي، بعد أن ارتضت التحرك في الهامش الممنوح لها أمريكياً.

وبرغم الاختلافات الهائلة في توجهات هذه الأطراف ومرجعياتها الفكرية والقانونية والسياسية والدينية، وتبني بعضها نهجاً ديمقراطياً معتمداً أو مدعى، فإن الكثير منها يتغافل عن أن الشعب الذي تتحدث باسمه أو عن مصلحته التي تراها هي له، ما قال كلمته من قبل على نحو ديمقراطي، ولم يقلها الآن، ولم يفوض كائناً من كان الحديث باسمه، أو التعبير عن آماله وطموحاته، أو الخوف على مصلحته الضائعة!

إن الشعب الذي تتحدث هذه الجهات وغيرها باسمه يراقبها الآن جميعاً، ويسجل النقاط لها أو عليها، ويفرق جيداً بين تكتيكات تقتضيها ظروف متغيرة في عالم متقلب وستراتيجيات لا عدول عنها. ولعله حين يقول كلمته سيخيب ظن جميع من تحدث باسمه. لهذا السبب، ربما لا يراد لهذا الشعب أن يقول كلمته!

أوهام في بغداد (٢-٢)

كل شيء في العراق مرهون بقضية الأمن... إن الاصرار على انتهاج الطريق الخاطئ لم يؤد إلا إلى المزيد من الاذلال للاحتلال. وعند استعراض الأحداث أدرك بأن اكثر اللحظات رعباً في البلاد بالنسبة لي ربما لم تكن في الانفجار الذي حصل في مبنى الصليب الاحمر أو في الكمين على الطريق السريع بين مدينتي الفلوجة والرمادي الذي أودى بحياة خمسة أشخاص أو في اي من مشاهد العنف التي حدثت هنا أو هناك.

مارك وانر

بل كانت في ذلك المؤتمر الصحفي الذي عقد في ظهيرة نفس اليوم الذي تعرض فيه فندق الرشيد للهجوم عندما كان الجنرال (مارتن ديمبسي) يذكر تفاصيل عن قاذفة الصواريخ المستعملة في العملية المذكورة (وهو السلاح الذي قام اشخاص مجهولون بتمويهه واستخدامه بذكاء ونجاح لأختراق الحزام الأمني الهائل المحيط بفندق الرشيد متحدين المئات من جنود الولايات المتحدة، مما أدى إلى مقتل وإصابة الأميركيين المكلفين بإدارة شؤون العراق وكاد أن يودي بحياة نائب وزير الدفاع). هذا السلاح وصفه الجنرال (ديميس) قائلاً: (إن هذه القاذفة ليست عملاً بارعاً، ولكنها مشروع عملي تم تنفيذه في مرآب ما بواسطة آلة لحام وبطارية وقطع صغيرة من الأسلاك). ما أفزعني حقا هو إمكانية أن يكون الجنرال (ديمبسي) واعٍ للهجة القنوط التي بدت واضحة في نبرات صوته، وهو الرجل المتمرس الذي خبر من دون شك التعامل مع المتمردين واستلهم العبر من الدروس التي تلقاها البريطانيون في (مالايا)، والفرنسيون في (الجزائر)، والاميركيون في (فيتنام). وهو أيضاً كباقي القادة الاميركيين الكبار في العراق قد تلقى تدريبات مستفيضة للقتال إلى جانب أو ضد تشكيلات وصنوف مختلفة.

تحدث أحد ضباط الامن الخاصين الذين يعملون في شبكة التلفزة الامريكية وهو لا يختلف عن العديد من رجال الأمن المحترفين في العراق في كونهم من الذين خدموا في سلاح الجو البريطاني الخاص، فقال: "هؤلاء المتمردون ليسوا بحاجة إلى أن يكونوا في غاية البراعة، إنهم بحاجة إلى أن يكونوا مؤثرين. وتلك الوسيلة التي استخدموها لضرب فندق الرشيد كانت مؤثرة للغاية". وفي هذا الصدد أدلى (ريموند بونر) مراسل صحيفة (نيويورك تايمز) بتصريح ذي مدلولات لا تخفى على اللبيب إذ قال: "إن الخبر الجيد هو إن هذه الوسيلة لم تكن سوى مشروع علمي تم تنفيذه في مرآب ما. أما الخبر السيء فهو إن هذه الوسيلة لم تكن سوى مشروع علمي تم تنفيذ في مرآب ما!!".

بعد عشرة أيام تذكرت هذا التعليق حينما قال أحد الزملاء المتحمسين بقوة لعملية الغزو التي قامت بها الولايات المتحدة: "الولايات المتحدة لن تهزم. الولايات المتحدة تمتلك تفوقاً عسكرياً مطلقاً في العراق".

في مشهدٍ أخذت تتصاعد فيه وتيرة الحرب ضد ائتلاف الولايات المتحدة من خلال تصعيد المقاومة لعملياتها والتطور الملحوظ في أساليب عملها الذي أدى إلى تزايد أعداد القتلى الأميركان، يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: هل تعتبر حقيقة تمتع الولايات المتحدة بالتفوق العسكري المطلق في العراق من الاخبار الجيدة أم السيئة؟ ففي (فيتنام) كان هناك أناس يتباهون أيضاً بهذه الحقيقة (مع الأخذ بنظر الاعتبار نقاط الاختلاف بين الحالتين وهي كثيرة). فإذا كانت الولايات المتحدة تمتلك التفوق العسكري المطلق في فيتنام حقاً، فما هو التفسير الدقيق لما حدث هناك؟ وماذا بوسعهم أن يخبروننا عن اولئك الذين تباهوا بهذه الحقيقة؟.

الخريف في الفلوجة مكفهر...

هنا في هذا المكان قام المتمردون بمهاجمة الأميركان ثماني مرات كمعدل يومي في شهر تشرين الاول وهو ضعف معدل العمليات التي قاموا بها في الشهر السابق بحسب ما أورده الجنرال (تشك سواناك) قائد الفرقة الثانية والثمانين المحمولة جواً. وكان الأسلوب الأثير لديهم هو استخدام وسائل تفجير مبتكرة يقوم باعدادها اتباع النظام السابق على الأرجح. وحالما إجتزنا الطريق السريع الرئيسي المؤدي إلى المدينة شاهدت الآثار المتبقية من إحدى هذه العمليات. ففي عصر أحد الأيام وبينما كانت قافلة أميركية مدرعة تهدر فوق الطريق السريع بأتجاه المدينة كان شخص ما منهمك باعداد ثلاثة براميل من المواد القابلة للاشتعال وتوصيلها بآلية تفجير يتم التحكم فيها عن بعد - مما حدا بالجنرال إلى وصفها بالحيلة البارعة - وعندما بدأ جنودنا بإزالة الادغال التي تخفي البراميل وسط الطريق قام أحدهم بالضغط على زر توصيل الأشارة فقتل في الحال أحد المظليين، بينما قامت مجموعة أخرى بفتح نيران اسلحتها نحو جنودنا من المنازل المجاورة.

ترجل رجال الجنرال (سواناك) وردوا على مصادر النيران، ثم داهموا المنازل وألقوا القبض على بعض المدنيين واقتادوهم بعنف بعد أن وثقوا أيديهم بأسلاك خاصة. كان ما حدث ذلك اليوم نموذجاً لما يجري في الفلوجة دفع الثمن فيه جندي امريكي واحد، وكانت حصة المدنيين قتيلين وجريحين وعدد آخر من المعتقلين. فأجج ذلك مشاعر لا توصف من الكراهية للأميركان لدى أفراد عدد من عوائل وجيران وأصدقاء الاشخاص الذين قتلوا وأصيبوا وأعتقلوا، مما ولد غيظاً شديداً نابعاً من الأحساس بتعرض كرامتهم الشخصية إلى الاهانة وهو أمر يستوجب في العرف العشائري السائد في الفلوجة الانتقام وقتل المزيد من الامريكان لمحو آثار هذه المشاعر. أما مجموعة الأفراد الذين نفذوا العملية وفتحوا نيران اسلحتهم على الامريكان فانهم تدبروا أمرهم وأفلتوا من العقاب كما هو الحال في جميع عملياتهم ما عدا استثناءات بسيطة.

ولحد هذا الوقت الذي اكتب فيه هذه المقالة بلغ عدد القتلى الاميركان في العراق منذ أن قامت الولايات المتحدة باجتياحه في شهر آذار أربعمائة وثلاثة وعشرين شخصاً. أما عدد الجرحى فقد زاد على ألفين وثلاثمئة شخص إصابة العديد منهم خطيرة. وهذا العدد من القتلى والجرحى آخذ بالازدياد. وعلى الرغم من أن هذه الضرائب قد بدأت تلقي بظلالها على شعبية الرئيس بوش وتؤثر فيها تأثيراً واضحاً بين صفوف الأمريكان، فان الهدف من وراء هذه الحرب لا يتمثل في قتل وإصابة الاميركان فقط وإنما في سعي المقاومة لزيادة عدد العراقيين الذين ينخرطون فيها سواء بشكل فعلي أو رمزي ينحصر في الوقوف ضد الاحتلال... إنه لعمل مثمر حقا، وأقل ما يمكن أن يقال بحقه بأنه عمل حصيف. وفي هذا السياق يقول الجنرال (سوناك): "إن ما يقصده المتمردون من هذه العمليات هو اجبار الامريكان على الرد على مصادر النيران على أمل إحداث خسائر في صفوف العراقيين والافلات من مسرح الحدث لكي يتمكنوا فيما بعد من التشهير بما حصل في كل مكان".

بعد دراسة أولية عن حجم القوة التي يمثلها جماعات المتمردين في الفلوجة وضواحيها كان الجنرال يدقق في الرقم عشرين ألفاً (ربما ليخمن وجود ألف شخص هناك يرغبون مثلاً في مهاجمتنا وقتلنا، وتسعة عشر ألفاً آخرين لا يحبوننا على الاطلاق). إن اعطاء إحصائية دقيقة لعدد هؤلاء في كافة انحاء العراق هو أمر صعب التحقق، فالأمر يتوقف على من يجيبك عن هذا السؤال...

وقد حسم الجنرال (سانشيز) هذا الامر عندما ذكر إن عددهم الاجمالي لا يتجاوز خمسة آلاف شخص. وبصرف النظر عن أعدادهم الحقيقية فأن من شأن حرب العصابات تلك أن تشد من عضدهم ناهيك عن اكتسابهم للمزيد من المؤيدين الأقوياء. وكل الأدلة تشير إلى إنهم يحققون نجاحاً في هذا الأمر لحد الآن.

لقد كان عراق صدام عبارة عن دولة بوليسية قومية تديرها أجهزة استخبارات الحكومة ووحدات أمنية خاصة تابعة للجيش، وكلها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحزب البعث الذي استطاع على مدى أكثر من نصف قرن من مد نفوذه إلى كافة المؤسسات في القطر. وقد ساعدت على تعزيز هذا النفوذ شبكة مبتكرة بالغة التعقيد من الخلايا المتواطئة والتي يتراوح عدد اعضاء الواحدة منها بين ٣-٧. فالحرس الجمهوري الخاص التابع لصدام يتكون من ثمانين ألف شخص من بينهم ستة عشر ألفاً يمثلون صفوة الحرس الجمهوري الخاص. وهنالك القوات غير النظامية التي تعرف باسم فدائيي صدام التي يبلغ تعدادها أربعون ألف شخص. هذا بالاضافة إلى المخابرات وأجهزة الاستخبارات المتنوعة الأخرى والتي قد يزيد تعدادها على اثني عشر ألف شخص... وقد تلقى كل هؤلاء الرجال تدريباً وتسليحاً جيداً إضافة إلى ولائهم السياسي المحسوم سلفاً. وقد مات عدد قليل منهم أثناء الحرب.

في شهر مايس وفي اجراءٍ عجيب لم يحظ بالتفسير الشافي لحد الآن وكانت نتيجة زيادة هائلة في عدد المهمشين من الجنود المتطوعين، قرر (بول بريمر) الحاكم الأمريكي في العراق بطريقة مفاجئة وفجة حل الجيش العراقي النظامي الذي أسسه الملك فيصل الأول عام ١٩٢١. فولد ذلك حالة من الشعور بالخزي والمرارة لدى ثلاثمائة وخمسين ألفاً من الشباب الذين لا ينقصهم التدريب والتسليح الجيدين، فتعمقت لديهم مشاعر الكراهية لأمريكا بعدما أصبحوا عرضة للمعاناة بسبب البطالة.... وها هو مليون طن أو أكثر من مختلف الاسلحة والاعتدة بما فيها قذائف وصواريخ جاهزة للاستخدام موزعة على أكثر من مئة مستودع سلاح في كافة أرجاء البلاد بلا حراسة. هذا بالاضافة إلى وجود كميات هائلة من الأموال التي تكدست عبر خمسة وثلاثين سنة من السلطة (وتجدر الاشارة هنا إلى أن صدام قام في الثامن عشر من آذار بأرسال ثلاث شاحنات لسحب اكثر من بليون دولار من البنك المركزي). إن هذه الامكانات مجتمعةً كفيلة بخلق مقاومة جيدة من حيث العدة والعدد والتمويل.

لقد تنامت المقاومة واتسعت تدريجياً خلال الاشهر التي تلت سقوط بغداد في نيسان. كما استطاعت أن تطور من أسلوب عملها الذي كان يقتصر على اغتيال أفراد من الجيش الأمريكي إلى انتهاج اساليب متعددة ومتنوعة أخرى كالقيام بالإغارة على القوافل بالأسلحة الخفيفة والاكثار من نصب الكمائن على طرق تلك القوافل بأساليب مبتكرة وتفجيرها عن بعد ومهاجمة طائرات الهليكوبتر بالقذائف الموجهة والصواريخ... وعلى الرغم مما يبدو وكأنه تعاون داخلي بين الجماعات التي تقوم بتلك العمليات إلا أنه من الواضح أيضاً أن تلك المقاومة تتألف من منظمات متعددة يمتلك البعض منها قواعد اقليمية والبعض الآخر محلية: البعض منها ينحصر ولاؤه لصدام والبعض الآخر يتعداه إلى البعث، البعض منها اسلامي صرف والبعض الآخر معادٍ لصدام والقومية بشكل صريح.

وضمن هذا السياق يقول البروفسور (أحمد هاشم) الاستاذ في الكلية الحربية البحرية الذي درس المعارضة عن كثب: "إن هذه الجماعات المتباينة من المتمردين والمتطرفين لا تمتلك رؤية واضحة، ومع هذا فهم لا يحتاجون اليها في المرحلة الراهنة، إذ إنهم عازمون على ما يبدو على جعل مسألة بقائنا أمراً لا يخلو من المشقة والعناء، وقد تمكنوا بالفعل من التأثير على حساباتنا واحداث شرخ بين صفوفنا. وأستطيع أن أقول بأن الائتلاف بدأ يفقد مكانته بين العراقيين". إن هذا النهج السياسي المسلح الموجود حالياً آخذ في الاتساع والتطور، وهو يتوقف على مدى النجاح الذي يحرزه أصحابه في العمليات التي ينفذونها ضد الأمريكان لاجبارهم على تعديل خططهم السياسية ومغادرة البلاد في نهاية المطاف.

لقد ظهرت في الوقت الحاضر عدة أدلة ومنها وثائق معدة على ما يبدو من قبل أجهزة الاستخبارات العراقية قبل الحرب تشير إلى وجود مخطط أولي يؤسس لهذه المقاومة. وتتضمن هذه الخطة القيام بأعمال السلب والنهب والتخريب والاغتيالات. وقد جاء القدر الأكبر من عمليات السلب والنهب التي طالت الوزارات الحكومية والمرافق العامة الأخرى بما فيها المتاحف والمكتبات العامة والجامعات والتي أفرغت من كل محتوياتها بما فيها أنابيب المياه وأسلاك الكهرباء الموجودة على الجدران قبل أن تضرم فيها النيران. وقد سادت الفوضى وانعدم القانون في كافة ارجاء العاصمة لأكثر من اسبوعين بينما كان الجنود يتفرجون دون أن يحركوا ساكناً.

كانت تلك الأحداث أهم التحديات السياسية التي واجهت الاحتلال حيث تزعزعت على إثرها ثقة العراقيين بحكامهم الجدد وتبددت كل فرص المحتلين لتعزيز نفوذهم. واكثر من ذلك فان عمليات السلب والنهب قد خلقت شعوراً عارماً بانعدام الأمن والاستقرار، وهو شعور زادت في تعميقه عمليات المقاومة ولا سيما الانتحارية منها. وقد بدأت هذه العمليات تسهم في إقناع أغلبية العراقيين بأن الامريكان لن يحكموا قبضتهم بشكل كامل وبأنهم قد لا يمكثون بما فيه الكفاية ليحققوا هذه الغاية.

فاذا جاز القول بأن الخلل يكمن في المسار الأمني الذي يسير دون مستوى التطور الحاصل في العراق، فيجوز القول أيضاً بأن اللوم يقع على الاجراءات السياسية التي لا ترتقي إلى مستوى القضية الأمنية. وها هي سلسلة الاخفاقات على مستوى التخطيط والتنفيذ تتضح الآن بجلاء كصفةٍ ملازمة للاحتلال. وإن الافتقار إلى وجود الشرطة العسكرية. ومعارضة إحلال الأمن في العاصمة، وحل الجيش العراقي ما هي إلا نماذج للإجراءات المتخذة في واشنطن الناجمة في أغلبها عن الصراعات الممتدة بين المؤسسات المتنفذة في الحكومة المتمثلة في إدارة الدولة. ووكالة المخابرات المركزية، والبنتاغون والتي لم يتمكن البيت الأبيض من وضع حدٍ لها. (وكانت الصورة التي تعبر أوضح تعبير عن المدى الذي وصلت اليه هذه الصراعات قد بدت واضحة في قرار الرئيس الذي صدر قبل شهرين فقط من الغزو والذي يحيل بموجبه مسؤولية التخطيط للأحتلال من إدارة الدولة إلى البنتاغون التي أثبتت بأنها لم تكن على مستوى المسؤولية بتاتاً للقيام بهذه المهمة).

إن المشروع الجريء للرئيس بوش في العراق صعب التحقق إذا لم يكن مستحيلاً. فلن يكتب له النجاح من دون عزيمة سياسية قوية مع بعض المرونة. وسمة هذا الخريف في بغداد هي تمرد وحشي ولا هوادة فيه، ومع إنه لا يزال في مراحله الأولى إلا أنه آخذ في التوسع والنمو، واستطاع فصل العراقيين عن الأمريكيين الذين يزعمون بسط نفوذهم عليهم. ومع كل ما تقدم فأن هؤلاء (المتمردين) لا يمكن أن يكسبوا، ولكنهم من خلال تصيدهم لعثرات واشنطن وعملهم الدؤوب لمضاعفة تلك الاخطاء فانهم يشكلون تهديداً للحيلولة دون تحقيق الهدف الذي أرسل من أجله بوش القوات المسلحة الأمريكية ألا وهو: عراق مستقر ديمقراطي ينعم بالسلام وسط شرق أوسط مستقر ديمقراطي.

ترجمة: سعد فوزي

القبيلة والسلطة
القومية والإثنية في الشرق الاوسط

إعداد وعرض: المدى الثقافي

مدخل:

هذا الكتاب الذي تناول علاقة القبيلة بالسلطة في عدد من البلدان العربية وبعض دول الجوار وتحديداً إيران، فضلاً عن الحالة الكردية. يتركز حول حضور القبيلة الطاغي في السياسة العربية. ففي الوقت الذي يظن إن القبيلة العربية قد انتهت، وقامت على انقاض حطامها أنظمة دول حديثة تعتمد الدساتير، ومفاهيم المواطنة، والولاء للدولة عوض الولاء للقبيلة، تعاود هذه القبيلة الظهور مرة ثانية وعلى نحو أشد وأقوى.

ويرى كل من فالح عبد الجبار وهشام داوود أن الارتداد إلى صيغ العصبيات الضيقة - القومية والإثنية والدينية - الصغيرة يعود إلى تفاقم ضغوطات الحداثة على التشكيلات الاجتماعية التي لم تنجح في انتاج بدائل مطمئنة للولاء القبلي، فضلاً عن إن الدولة العربية والشرق أوسطية الحديثة، اتكأت على القبيلة طيلة مراحل طويلة من عمرها القصير، أما بسبب استدعاء شرعيات منقوصة، أو للاستقواء على خصومها، أو لتوسيع نطاق سلطاتها، الامر الذي أدى إلى انعاش القبيلة وتكريس حضورها.

ابن خلدون والحضور الدائم

يلاحظ قارئ كتاب القبيلة والسلطة حضور ابن خلدون ونظرياته عن النسب والعصبية والرياسة ودورات الملك وبكثافة كبيرة من الفصل الاول وحتى الفصل الاخير، بحيث يمكن تأشير إن أهمية النظرية الخلدونية في فهم وتفسير مركزية القبيلة في التاريخ العربي لا تتوقف على توصيفاته التاريخية للحقبة التي عاشها وحسب، وإنما تمتد إلى عصرنا الحالي حاملة جملة من التطبيقات المهمة.

يرى ابن خلدون ان صراع العصبيات الصغرى (تنافسات القبائل) غالباً ما يحسم لصالح عصبية أخرى سرعان ما يؤول إليها الملك. وبه ومن خلاله تعمل هذه العصبية على إعادة صياغة الولاءات والعصبيات الصغرى بحيث تخلق روحاً جماعية بين القبائل المتصارعة معتمدة على شرعية دينية تستدعيها من هنا أو هناك. إلا أن دينامية وحراك العصبيات الصغرى يخفت ويشتد بالتوازي مع منعة وقوة العصبية الغالبة التي ستنخرط في دورة الملك الحتمي الذي ما أن يصل ذروته حتى تبدأ بالهبوط والانحدار الناتج عن فساد يولده الترف والدعة.

وكان فالح عبد الجبار او هشام داوود والبقية من المساهمين في الكتاب يختلفون ويتفقون مع موقف ابن خلدون في هذا الجزء أو ذاك من نظريته، لكنهما لم يتخليا عن الاطار العام لنظريته.

الشيوخ والمنظرون

يأخذ العراق نصيب الاسد من التحليل في قلب الكتاب، فالعراق كان الحالة الدراسية الاهم، والعلاقة بين السلطة والقبيلة فيه كانت هي محور مساهمات عديدة، فقد كتب فالح عبد الجبار عن الشيوخ والمنظرين تفكيك وبناء القبائل تحت حكم الدكتاتورية في العراق بين ١٩٦٨-١٩٩٨.

أما هشام د\اوود فقد كتب عن دولنة القبيلة، وقبلنة الدولة في الحالة العراقية، وكتب كيكوساكي عن القبيلة كأداة للسيطرة الحكومية في العراق تحت عنوان: ملاحظات حول الجيش والحكومات والمجلس الوطني ويتوجب التوقف عند اسهامة أخرى نافشت وضع القبيلة مع السلطة قبل قيام الدولة العراقية الحديثة. اي إبان حقبة الاستعمار البريطاني فقد كتب هذه المساهمة الاكاديمي البريطاني توبي دوج. وعاد من خلال هذا الجزء إلى مرحلة الانتداب البريطاني على العراق وحلل علاقة الادارة الاستعمارية بالقبائل وشيوخها والسياسة التي اتبعتها تلك الادارة، وقد اعتمد على تحليلات وكتابات سابقة كثيرة. وأول ما يذكرنا به دوج - وعلى سبيل المقارنة - هو أن الاتراك الذين سبقوا البريطانيين في حكم العراق قد تبنوا سياسة بطشت بالقبائل وشيوخها طبقاً لنظرتهم لكيفية إدارة المناطق الخاضعة لسيطرتهم. بمعنى سياسة الحكم المباشر التي لا تؤمن بتفويض وسطاء للاعتماد عليهم، لذا كانت علاقتهم عدائية وشرسة مع القبائل التي تعرضت لانتكاسات متتالية في العهد العثماني.

بينما اضفى الحكم البريطاني شرعية سلطوية محلية على الوضع القبلي فيما بعد. وهذا ما أنتقده حنا بطاطو وانتقد الاعتراف البريطاني بسلطة شيوخ العشائر، وهذا ما تناوله توبي دوج بفهم إن هذا الفعل اسهم في انقاذ القبلية من اندثار محقق.

ففي لحظة الاقتراب من شبه الانقراض للقبيلة راح الاستعمار البريطاني يقدم لها طوق النجاة عبر تجديد شرعيتها ومنحها سلطة جديدة.

إن النظرة البريطانية للدور الذي يمكن لشيوخ القبائل إن يلعبوه لم يكن لحاجة سياسية وحسب، وإنما كان جزءاً من تنظير اشمل يرى أن القبيلة المنضبطة وذات الدور القيادي تلعب دوراً في الانتقال بالمجتمعات التقليدية من طورها البدائي إلى اطوار الحداثة.

السلطة والقبيلة في السعودية وإيران والمغرب

في جزء مهم من الكتاب اشارت مضاوي الرشيد المحاضرة في الانثروبولوجيا السياسية في جامعة لندن إلى أن الدور الذي لعبته معادلة القبيلة (السلطة) في الجزيرة العربية عموماً هو دور مركزي في نشوء الدولة الخليجية المدنية وخصوصاً السعودية.

فمن رمم القبيلة نشأت وتطورت الدولة، وبين تجاذبات القبائل وادعاء الشرعية والتنافس على اكتساب سلطات دينية كانت الحروب تحسم السيطرة لهذه القبيلة أو تلك. وفيدراليات القبائل اسهمت في صعود وهبوط سلطة الامارات المستقلة بسبب التغير المستمر في الولاءات والتحالفات القائمة على تبديل المصالح وأنماط الاقتصاد.

وترى مضاوي الرشيد إن نظرية ابن خلدون في حتمية وجود عصبية قبلية وشرعية دينية معاً لتحقق الزعامة والملك والسيطرة لا تنطبق تماماً على حالة الجزيرة العربية، فليس في كل المراحل كان الاعتبار للشرعية الدينية.

هل ثمة مفارقات أو تشابهات كثيرة في انماط العلاقات بين القبيلة والسلطة في المغرب العربي والمشرق العربي. هذا ما قد يحاول القارئ معرفته عند قراءة المساهمة القيمة لكينيث براون عن المغرب وعنوانها "اطلالات جديدة على القبيلة والسلطة في مغرب القرن العشرين. يرصد فيها براون كيفية التحول الديموغرافي السريع في نسب السكان بين الريف والمدن.

يرى براون إن ثمة مسميات نظرية إزاء "نظرية القبيلة" التقليدية لا تنطبق تماماً في الحالة المرتبية اولها احادية التحليل القائلة: بأن العلاقات القبلية تتحدد وفق خط الدم والقرابة الأبوية اي من رجل لرجل، ففي الحالة المغربية هناك تداخل وتشابك يكسر هذه الاحادية، أما المسلمة الثانية التي ينافشها براون ويرى خلافها موجوداً في المغرب هي اعتبار القبيلة وحدة اثنية وتاريخية، ففي المغرب يراها براون جهوية جغرافية في المقام الاول.

أما المأخذ على مساهمة براون فتتلخص بعدم ايلائها القبائل البربرية معالجة موسعة وخاصة بها، فضلاً عن تعميم البحث والنتائج على القبائل المغربية بشكل عام.

أما الباحث فاريان سباحي - وهو اكاديمي وباحث ايراني الاصل من فرنسا، تناول جانباً من تاريخ القبيلة الحديث في إيران وعالج في مساهمته برنامج الخيمة البيضاء، وهو برنامج لتأهيل البدو الايرانيين، ومحو اميتهم.

كان نظام الشاه البهلوي قد اعتمده في الفترة ما بين ١٩٥٣ اي فترة انهيار حكومة مصدق، و١٩٧٩ قيام الثورة الاسلامية.

خلال تلك السنوات وبتمويل اميركي عمل النظام على إرسال ألوف من المعلمين إلى المناطق البدوية والريفية بهدف تعليم البدو والمساعدة في استقرارهم.

البرنامج المذكور نجح نجاحاً بيناً ويرى سباحي أن ذلك يعود إلى عدة أسباب منها أن المبادرة نفسها جاءت أصلاً من البدو وقادتهم ولم تكن مفروضة عليهم، كما أن المعلمين أنفسهم كانوا من البدو، رغم أنهم لم يكونوا الأكثر تأهيلاً، لكن ذلك أظهر البرنامج وكأنه جهد محلي ليس خارجيا، إلى غير ذلك من الأسباب.

لكن الأهم من ذلك هو أن الأجيال البدوية التي تعلمت وتأهلت كانت في مرحلة تاريخية لاحقة جزءاً من الثورة الإسلامية التي ستطيح بنظام الشاه نفسه.

فبعد سنوات من التأهيل والاستقرار شهدت الأرياف والبوادي الايرانية موجات هجرة واسعة نحو المدن. وكان هؤلاء المهاجرون يسكنون هوامش المدن وأحياءها الفقيرة تبعاً لما هو سائد في بقية مدن العالم الثالث الكبرى التي شهدت هجرات مشابهة. وفي تلك الهوامش والأحياء المعدمة كانت الاستجابات لدعوات الثورة والتمرد هي الأعلى والأكثر حساسية، ومن هنا وجد النظام الشاهنشا هي نفسه يسدد فاتورة